دراسة تحليلية لنماذج شعرية من شعر ابن معتوق الموسوي

د. زينب عبد الكريم

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

D.zainab61@yahoo.com

Abstract

Our poet in question, just like other poets possesses a fertile imagination and an ability to join antonyms under the roof of the poem His poems were characterized by strong formation, beauty of rhyme and the election of meters suitable for the purpose for which they have been organized. Ibn Matouk was successful in drawing many suggestive and infuential poetic images and wrote in all types of Arabic poetry.

We can see him moving between praise, courting, pathos, pride, compliment and Ajoaniat.

But he prolonges his stay at the purpose of praise and praising certain people and not others, probably stems from his proximity to them, or because he beleved in them and that represent truth, Justics and the bright side of life in his opinion.

His language was easy and smooth and his pen was full of ideas and images and he did not resort to using obscene outrageous words, his poetry was respected and recognized for his long term in the poem, which competes with the length of Jahili poets.

Along the past time no matter how short or long, Ibn Matouk made us move around the orchard, enjoying all Kinds of flowers in it.

توطئة:

لعل الكثير من النقاد والدارسين قد مرَّ بهم اسم هذا الشاعر إلا أننا لا نجد دراسة وافية عنه وعن شعره لذا قررنا خوض هذا المضمار لما له من فضل على المكتبة الأدبية العربية. محاولةً منا لرفع الظلم عن نتاج أي أديب مهما كان نوع نتاجه أو كمّه.

فالسيد ((شهاب الدين بن سعيد الموسوي الحوزي)) صاحب الديوان المعروف بديوان (ابن معتوق) مولود في سنة 1025 وغادر هذه الدنيا في الرابع عشر من شوال من سنة 1077 ويقال سنة 1087 وهذا ما أرخه ولدهُ في مقدمة ديوانه ووافقه السيد علي خان في كتاب (ملحق السلافة) مع وجود بعض الاختلاف في تحديد سنة الميلاد [1].

وهو من أهالي البصرة عُرف ببلاغته وهدوءهِ، وقد طبع ديوانه الذي عرف بديوان (ابن ابي معتوق) ولثقله على اللسان ولعدم اللبس مع عنوانات أخرى حدث تصحيف وتحريف باسم (ابن معتوق)[2]، ولعل إصابة الشاعر بالفالج لمدة طويلة هي التي حالت بينه وبين جمع ديوانه إذ أنهكه المرض وأتى عليه، إلا أنه بقي محتفظاً بحافظة جيدة، ولعل إملاءه لولده من حفظهِ دليل ذلك أن المنية قد وافته قبل أن يتم جمع ديوانه، لذلك تولى المهمة ولده عنه وهو واحد بين آخرين له لا نعرف عنهم شيئاً إلا أن الأكبر بينهم هو من قام بجمع الديوان[3].

إن من المناسب ذكر الآراء التي قيلت في شعره ولعل أحدها ما ذكره السيد علي خان صاحب السلافة إذ قال أنه شاعر العراق رفيع الشرف يمتلك من ظرافة الأدب والجد ما يمتلك وقد اشتمل على طويل الاحسان وعريضه ما يؤهله لنظم قريضه وإنه كان عالماً شاعراً ماهراً وأديباً معروفاً وله ديوان، وله اشعار جميلة عميقة المعنى في السادات الأشراف وكبار الشيعة [4].

(1) ينظر: أعيان الشيعة، ج7/ 366.
(2) تابع تاريخ الأدب العربي، 360 وما بعدها.
(3) ينظر: تاريخ الأدب العربي، 360.
(4) أعيان الشيعة، ج7/ 370.

إن (ابن معتوق) يعد زمنياً ضمن الحقبة العباسية أي حكم العصر العباسي الثالث الذي عدّت بدايات العصر الأندلسي لامتداد لفترته الزمنية، وهنا ارتأينا دراسة شعره بشيء من الموضوعية التي لا تخلو من التحليل الفني لأغراضه الشعرية.

شعر ابن معتوق:

لدراسة شعر الشاعر لا بد من المرور بجميع محطاته التي توقف عندها، وولوج أغلب أبواب حدائقه إن لم يكن جميعها لاستنشاقها، وشاعرنا محل البحث كان قد تطرق إلى أكثر من لونٍ وغرضٍ ولعل هذا يثبت تمكنه من فن القريض واستحسانه لأغراض الشعر العربي، إلا انه أطال الوقوف عند غرض المديح وأبدع في تلوين هذا الغرض فتارةً عند المديح النبوي وأخرى مدح القادة والفرسان، وأخرى مدح آل بيت الرسول العظيم محمد الأمين 6، وقد تطرق إلى الأخوانيات والغزل والرثاء والوصف.

المديح:

إن المدح من أقوى وأهم الأغراض الشعرية وأوسعها مساحة امام الشاعر إذ تساعده على إطلاق العنان لأفكاره وموهبتهِ حتى تخرج بأوج كمالها وأجمل حليِّها إلى الملأ.

وبالنسبة للشاعر (ابن معتوق) فقد أبدع في فن المديح وديوانه حافل بقصائد المديح إلا أن الملفت للنظر هو مدائحه النبوية وطريقة سبكهُ وصياغته لتلك القصائد لذا آثرنا الحديث عنها مباشرةً.

المدائح النبوية:

كُلنا يعلم ان المديح يعني ان تمتدح شخصاً ذاكراً خصاله وصفاته ومناقبه وسماته الطيبة الجميلة التي تُعد فضائل اجتماعية، فالمديح هو ((مدح الشيء))[1]، وتعظيم شأن الممدوح وإضفاء شهرة إلى شهرته، وشأناً لشأنه، ولعل المديح يدخل في باب رد الجميل أو المعروف، وقد يلجأ الشاعر أحياناً كثيرة إلى المبالغة وإضفاء صفات قد لا تكون بالضرورة موجودة على وجه الحقيقة في الممدوح، إن جذور هذا الفن تعود إلى العصر الجاهلي، لكن من البديهي أن يختلف الأمر وتتباين أقلام الشعراء وطريقة نظمهم وتكون أكثر صدقاً وموضوعية تسفر عن عاطفة حقيقية إذا كان المديح متعلقاً بشخص النبي ﷺ ولعل أول المادحين للنبي الكريم شاعر الدعوة الإسلامية حسان بن ثابت شاعر المنبر الإسلامي وكذلك كعب بن زهير بن ابي سلمى في لاميته المشهورة (بانت سعاد) والتي عُرفت بالبردة والقصة معروفة، ولعل خلع الرسول ﷺ بردته لشاعر مثل كعب بن زهير هو دليل وعي واحترام لضرورة وجود الشعر في حياة العربي وضرورته في الحياة الإسلامية الجديدة، إلا أنه ليس أي شعر، بل تحديداً الشعر الملتزم والشعر البعيد عن إثارة النعرات والخلافات والعصبية القبلية، لقد اتخذ كثير من الشعراء قصيدة البردة سبيلاً ومنهاجاً استناروا من معانيها وصورها صياغةً وفكرة وظفوها في مديحهم النبوي[2]، وشاعرنا واحد من هؤلاء الذين خصصوا جزءاً من نتاجهم لشخص الرسول الكريم ﷺ حباً وكرامة وعرفاناً بفضله على البشر فقد استهل ديوانه بالمدحة النبوية الأولى المؤلفة من خمسة وسبعين بيتاً، أربعة وثلاثون بيتاً منها خلصت للمديح جاء في مطلعها:

هذا العميقُ وتلك شمٌّ رعانهُ فامزُج لجين الدَّمْعِ مِنْ عِقيانهِ[3]

وقد أورد الشاعر أبياتاً في النسيب في القصيدة.

تضمنت أسلوب القسم جاء فيها:

قسماً بسلعٍ وهي حلفةَ وامقٍ أقصاهُ صَرفُ البَيْن عَنْ جيرانهِ

(1) معجم مصطلحات الأدب، 132.
(2) ينظر: شعر محمد حسين آل ياسين: 74.
(3) ديوان ابن معتوق الموسوي، 6، وأيضاً: تاريخ الأدب العربي، 367.

ما اشتَّاقَ سمعْي ذكْرَ منزل طيبةٍ إلا وهمت بساكني وديانه
بلدٌ إذا شاهدتهُ أيْقَنتَ أنّ الله ثمّنَ فيهِ سَبْعَ جِنَانهِ[1]

وبعد تلك الشذرات الجميلة من النسيب تحدث عن التبشير بمجيء الرسول ﷺ في كتب التوراة والانجيل وقد ذكر مسألة التوحيد والشرك ووصف الشجاعة ولم يفته الحديث عن جبريل وفضل الشهادة وذكر (المشاعر والحطيم وزمزم)[2]. إنها قصيدة طويلة جميلة الألفاظ مسبكة المعنى صيغت بشكلٍ يجعل السامع يود السماع أكثر، وتنم عن قدرة ناظمها القولية وطول نفسه وقد وظف فيها الكثير من الألفاظ والمعاني الإسلامية، وله قصائد مدحية في حضرة الرسول الكريم ﷺ جاء فيها:

مُحَمدٌ أحمدُ الهادي البشير ومن لولاه في الغي قلت سائر الأممِ
مباركٌ الاسم ميمونٌ مأثرهُ عمت فاثارها بالغورِ والأعمِ
طوق الرسالةِ تاجُ الرُسلِ خاتمهم بل زينةٌ لعباد الله كُلُّهمِ
نورٌ بدا فأنجلى غمَّ القلوب بهِ وزالَ ما في وجوهِ الدهرِ من غممِ[3]

إنَّ الشاعر من خلال أبياتٍ قلَّة وكلمات محددة وظّفها لاستيعاب معناه المطلوب وغرض قريضهُ، حاول من خلالها بيان أهمية شخص الرسول الكريم ﷺ في حياة العرب وكيف أنه بمجيئه ترتبت الحياة وكيف إن لوجود هذا الشخص الحكيم أهمية وكبير أثر في حياتهم إلى يومنا هذا.

لقد شغل المديح كغرضٍ شعري قرابة نصف ديوان الشاعر ابن معتوق الموسوي، أو اكثر بقليل، إذ صرف أغلب شعره ونظمهُ في المديح الذي اتسم بطول النفس فقد تصل القصيدة إلى خمسة وسبعين بيتاً وقد جاء مدحه في كبار الشخصيات والتي يشار اليها بالبنان في الدولة وفي الأوساط الاجتماعية، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلُّ على قوة الآصرة والرابطة بين الشاعر ومجتمعه وهذا ما يؤكد الرأي القائل الشاعر ابن بيئته.

والشاعر في أغلب مديحه لم يكن طالباً لجاهاً أو ملكاً أو جائزة خاصة في وقفته مدح الرسول ﷺ إذ لم يكن في نيته سوى الحصول على راحة البال والضمير ورضى الرسول الكريم ﷺ وأهل البيت (عليهم السلام) طمعاً منه في نيل السعادة سعادة الدنيا والآخرة وعليه فمديحهُ لم يكن مدحاً تكسبياً وإنما كان يمتدح الشخصيات الدينية المقرّبة له بغية نيل سعادة الدارين[4].

مديح القادة والفرسان:

لعل أكثر الأغراض استجابة للتغيرات الشعرية الحاصلة على المجتمع العربي بعد دخول الإسلام [5]، هو غرض المديح فبعد إن كان المديح موجهاً إلى شخص واحد هو رئيس القبيلة وزعيمها، اصبح المديح موجهاً إلى الوالي أو الخليفة أو الأمير الذي يمثل المجموعة وبذلك تحول من المديح الفردي إلى المديح الجماعي، إن غرض المديح هو الغرض الأكثر مرونة للتطورات واستيعاب التغييرات الحاصلة بعد مجيء الإسلام، الذي هو دين الجماعة لا دين فرد لذا اصبح المديح جماعياً بعد أن كان فردياً ولشاعرنا قصائد كثيرة كما اسلفنا في هذا الغرض منها ما قاله في مدح المولى السيد علي خان قائلاً:

جوادٌ إذا ظنَّ الغمام على الورى توالت يداه بالغيوث الهواطلِ

(1) المصدر نفسه، ص 7.
(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي: 368.
(3) ديوان ابن معتوق: 12.
(4) ينظر: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي: 117.
(5) ينظر: دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أمية: 237.

شريف محلى التاج في حلي فضلهِ تزان صدور المكرمات العواظلِ
لهُ راحةٌ لو ترضخ المُزن درُّها سمت باللالي ممطرات الحوامِلِ
أحاطت بأوساط الدهور وشحت خطوط الورى منها خطوط الأنامِلِ
تلذذه باليأس والعفو والتقى وبذل العطايا لا بطيب المآكلِ[1]

وفي حالات كثيرة كان قد مدح السادة والقادة والفرسان ومن يمتُ إليه بصلةٍ أو قرابة أو نسب مثل ذلك مدحهُ للمولى السيد منصور خان قائلاً:

وغدتْ تقطفُ الاقاح يداه من رياضِ الملاب والكافورِ
وغدا الكفُ والذراعُ خضيباً وبدا بالدجى نحولِ القتيرِ[2]

كان هذا الممدوح أديباً ذواقاً، ذو علم وكياسة عُرف بهما، ومما يُذكر أن هذا الممدوح هو من أشار على ابن الشاعر أن يجمع ديوان أبيه بعد موتهِ، إذ ذكر الابن انه قال: ((أجلسني مجالس أُنسه وأكرمني بملازمة خطائر قدسه، وابتدأني بالخير والشر، وأمرني بتدوين ما لوالدي من الشعر، ولم يرد من ذلك الا الاعتناء بي، وبقاء الذكر الجميل لأبي))[3]، ونلمس انه قد عمل والتزم بالنصيحة.

الإخوانيات:

لقد تطرق شاعرنا إلى اغراض كثيرة تصب في غرض المديح الأصل، ولعل الإخوانيات من الأغراض الجديدة أو التي تغلب عليها سمّة الجِّدة، فقد نظم في الأخوانيات مهنئاً الاصدقاء والأقارب في المناسبات التي يمرون بها ومبارك لهم في الأعياد، ومخففاً عن أحزانهم ومشاركاً لهم في الأفراح فضلاً عن مديحه لهم وذكر محاسنهم، مثل قوله:

إذا مرَّ في الأوهام معنى وصالها رأيتُ جيادَ الموتِ تعثرُ بالفكرِ
رفيعةُ بيتٍ هَالةُ البَدْر نُورَهُ وقوس محيطِ الشَّمس دائرةَ السِّتْرِ
يرى في الدّجى نهر المجّرة تحتهُ على دُرَّ حصْباءَ النُّجوم بهِ تجري
فأطنابه للفرقدين حمائلُ وأستاره في الجنحِ أجنحةُ النّسر[4]

ج

إن الشاعر في هذا النص يمتدح (علي خان) أحدَ أقاربه مازجاً التهنئة بالمديح وهنا ليس بالأمر الغريب فالشعراء جميعاً يمزجون التهنئة بالمديح وذكر صفات ممدوحيهم وفضائله، وبهذا يكون هناك أكثر من موضوع تطرحه القصيدة، مثل ذلك الإنسان العربي بطبعه يسمو إلى العمل بالأخلاق الراقية[5]. حبَّاً في الوصول إلى الكمال وتطلعاً إلى أن يكون حديثاً طيباً في قلوب الناس فيمتدحوه في غيابه وحضوره، ففي إحدى القصائد يصور لنا ابن معتوق الموسوي، كيف أن مخالفة الموعد ليست من خصال الإنسان العربي وإن حدث فهو خارج عن إرادته لأمر ما ويتفادى ذلك بالاعتذار وطلب المسامحة من الآخر؛ ومن أجمل ما ذكر ابن معتوق قوله:

ضربوا القباب وطنبوها بالقنا فمحوا بأنجمها مصابيحَ المنا
وبنوا الحجالَ على الشموس فوكّلوا شهب السماء برجم زوار البنا
وجلوْا بتيجان الترائب أوْجَها لوْ قابلت جيش الدُّجنة لانثنا

(1) ديوان ابن معتوق: 56.
(2) المصدر نفسه، ص 20.
(3) تاريخ الأدب العربي: 378.
(4) ديوان ابن معتوق: 51.
(5) ينظر: فن المديح: 17.

لله قومٌ في حبائل حسنهم قنصوا الكرى لجفونهم من عندنا[1]

تبقى قضية التقليد والابتكار إحدى المسائل المهمة بنظر الشاعر والنقاد وذلك لمعرفة الأصيل والمقلَّد ومدى تأثره بغيره من الشعراء حوله أو مدى إفادته من التراث فضلاً عن دور أساليب البلاغة وقوة الخيال وما لها من عميق أثر في تشكيل الصورة الشعرية عند الشاعر، فالشاعر الجيد ذلك هو القادر على استخدام وتوظيف كل ذلك بشكلٍ صحيح واسلوب ناجح فتظهر صوره وموضوعاته كأنها جديدة مبتكرة غير مطروقة، كل ذلك بفضلٍ وذكاءٍ منه، وابن معتوق كان كذلك.

الغزل:

غرضٌ أساس في بنية القصيدة العربية لا يمكن التخلي عنه أو تجاوزه ليس هذا فقط بل أن الغزل يقع لبنة اساس في صميم العلاقات الإنسانية فهو متنفس الشعراء المعبر عن ما يختلج نفوس المحبين وضمائر العاشقين وهو شريان الحياة الأدبية الرئيس في جسد الشعر العربي على مرَّ العصور، ولم ينقطع مرادهُ ولا حقَّ نبضه، وهو يحدث في الأعماق دوَّياً تترجمه ألسنة الشعراء وأقلام الكتاب بألفاظٍ تخفق منها القلوب و ((تضطرب بها الأفئدة))[2].

إن قصيدة الغزل ((رثاء لنفس العاشق المحروم كما يتجلى ذلك في معجمها اللغوي الذي كثر فيه ألفاظ الموت والحرمان واليأس))[3]، وهي جميعها ألفاظ تعين الشاعر على التعبير الصادق ومحاولة إخراج آلامه ومعاناته ومكابدته إلى العالم الخارجي ليشاركه همه، وفي أكثر الحالات يكون صدق الخيال وقوة العاطفة سمة القصيدة وهي الطريق لتخلد نفس الشاعر إلى الراحة النفسية خاصة في حال أتصاف الحب بالعفة والصدق والطهارة [4]. وشاعرنا ابن معتوق في أحيان نلمس أن عاطفته صادقة سرمدية وفي أحيان أخرى تكون مؤقتة لا تخلو من مجاملة ومحاولة تلبس حالة العشق والإتصاف بها وكأنه يحاول ولوج عالم العشق من أجل نظم قصيدة وترك بصمة لا عن حقيقة واقع لمعاناة يحسُّها. وفي أحيان كثيرةٍ يدمج ابن معتوق الغزل بغرض آخر كالمديح مثلاً إذ يتخذه كأستهلالٍ وإطلالة لغرضه مثل ما جاء في قوله:

نبتتْ رياحين العذار بوردهِ فكان مردها خدهِ
وبدا فلاح لنا الهلال بتاجهِ وسعى قمر بنا القضيب ببردهِ
واستل مرهف حفنهِ أو ما ترى بصفاءِ وجنته خيال فرندهِ
وسدت أوسار طربه فتنورت في الخصر منه واتجدت في نهدهِ[5]

إن الغزل كغرض شعري ذات علاقة بالنفس البشرية والروح الإنسانية التواقة إلى خلق معادلة التوازن الإنفعالي النفسي مع الطبيعة والبيئة حولها قد أخذ يتسع أكثر ((توافقاً مع الحياة الحضارية النامية))[6]، إذ حاول العديد من الشعراء تغيير مفاهيم القصيدة الغزلية المحاطة بالمفهومات المحرمة (التابو) والممنوعات والتعبير عن المرأة بشكل أكبر وأوسع وفقاً للتطورات الحاصلة في الواقع.

الرثاء:

واحد من أهم وأكبر أغراض القصيدة العربية على مر عصورها وإن كانت الأغراض الأخرى جميعاً لها علاقة من قريب أو بعيد بألفاظ الفرح والانتصار والفخر والمديح والتغزل وتختلف فيها المشاعر صدقاً أو كذباً والخيال الشعري يتفاوت فيها أيضاً إقتراباً وأبتعاداً عن الواقع الحقيقي المُعاش، إلا أن الرثاء من الموضوعات المهمة المتسمة بالصدق الشعوري والانفعال الواقعي والخيال الحقيقي، إنسانية إذ يتعلق هذا الغرض بوصف تلك المشاعر الحارة الصادقة الصاخبة الملتهبة

(1) ديوان ابن معتوق: 75.
(2) آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي: 138.
(3) المرثاة الغزلية: 34.
(4) ينظر: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: 287- 288.
(5) ديوان ابن معتوق: 20.
(6) الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية: 283.

عند فقدان الشاعر أو أحدهم لشخص قريب عليه أو عزيز، فلكل داءٍ دواء إلا الموت لا دواء له ولا حلٌّ يصل إليه الإنسان فيتمسك بأحبائهِ لمدة طويلة إذ هو القدر المحتوم على المخلوقات جميعاً والنهاية الحتمية لكل إنسان وهو لا يعرف صغيراً أو كبيراً، مريضاً أو معافٍ وهذا يذكرنا ببيتٍ لا يخلو من حكمة للشاعر كعب بن زهير في بردتهِ:

كلُّ ابن انثى وإن طالت سلامتهُ لا بدَّ يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ[1]

وما بحث كلكامش في ملحمته عن الخلود وعيش الخلود وعودتهِ خائباً إلا من حكمة واحدة إن الموت قدراً محتوماً لا مفرَّ منه إلا تأكيداً لمعنى البيت، وإن ما يخلد الإنسان أبد الدهر هو عمله الحَسِن.

إن الموت يسبب ألماً عميقاً في النفس الإنسانية ولكن كلنا يعلم أنه الحقيقة الثابتة في الحياة لذا نجد الكثير من الشعراء يعبرون عن هذا الألم وتلك الحسرة فظهور الألم ومكابدة المعاناة يعني ((الإنطواء على الذات))[2]، ومكابدة الألم والانعزال عن المجتمع لتفريغ شحنة الألم.

ولو أمعنا النظر في مراثي ابن معتوق جميعها لوجدناها تنطلق من منظور ديني إسلامي مفاده التسليم المطلق لإرادة الله وقدر السماء في مسألة الموت قضاءاً حتمياً لكل إنسان. وما الموت إلا رحلة إلى ما هو أبقى وأجدى [3]، ولعل هذا الحس الديني المرهف يتوّج في مرثيات ابن معتوق لسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام بضعة الزهراء 3:

هلَّ المحرم فأستهل مكبرا وأنثر به درر الدموع على الثرى
وإنظر بغرته الهلال إذا إنجلى مسترجعاً متفجعاً متفكرا
وأقطف ثمار الحزن من عرجونه وانحر بخنجره بمقلتك الكرى
وانسَ العقيق وانس جيران القنا وإذكر لنا خبر الطفوف وما جرى[4]

نلحظ في الأبيات الآنفة نحيبٌ صادق وعاطفة متأججة ونشيج حزن متواصل ونبرة ألمٍ منكسرة صادقة تدعو إلى إقامة حزنٍ جماعي فالمصابُ عام والألم وحدّ القلوب باستشهاد ذرية الرسول وبضعته وسبط أهل الجنة :، فابن معتوق هنا يوجه خطاباً إلى الآخر يتضمن دعوة إلى إقامة مآتم العزاء واستقبال شهر محرم الحرام بالدمع الصادق والعبرة الحارة على فقد أبي الأحرار الحسين عليه السلام وصدق حرارة المشاعر وقوتها في هذه الأبيات مستمد من صدق الواقعة والإيمان بمبدأ الحق والإخلاص في حب آل البيت :، وهذا الندب والحزن عليهم داخل كل إنسان منا مستمر معنا على طوال مسافة الحياة إلا أنه يظهر أشد ما يظهر عند الموت [5]، أو عند مجيء ذكرى موت الإمام الحسين عليه السلام أو من أحببنا وفقدنا في هذه الحياة، فتتراكم المشاعر وتنهار النفس الإنسانية إلا أن هذا الانهيار يكون مؤقتاً فبعد برهة وبصبر من الله تبارك وتعالى يبرأ الجرح وتطيب الخواطر لمعاودة مسيرة الحياة.

وابن معتوق كان يتسم بالوفاء وصدق المشاعر ورقتها إزاء من يحب وإزاء ممدوحيه فمثلما مدحهم ونالوا تخليداً بأبياته فها هو يرثيهم لفقدهم من ذلك ما نظمه في رثاء السيد علي خان والذي اتسم بنبرة صدق ومشاعر جياشة تفيض ألماً وحسرة وعبرة لفقد شخصٍ قريب إلى النفس حبيب على القلب جاء في ذلك قوله:

إلى الله نشكو فادحات النوائب فقد فجعتنا في أجلِّ المطالبِ[6]

(1) ديوان كعب بن زهير قافية اللام.
(2) ينظر: مشكلة الإنسان: 35.
(3) ينظر: دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أميّة: 141.
(4) ديوان ابن معتوق: 113.
(5) ينظر: شعر الرثاء العربي: 8.
(6) ديوان ابن معتوق: 116.

نلمس صدق العاطفة المعبر عنها باللفظ الموجز كثيف المعنى فالفقيد أخ دنيا ولعله في هذه القصيدة يلخص نظراته الحزينة المتواصلة في تفكيره عن شقاء الوجود فقدم شكواه إلى الله ﷻ يستدر عطفه ولطفه في حال فقد الأحبة.

الوصف:

غرضٌ آخر يثبت عبقرية الشاعر ولا يمكن لشاعر مجيد لغنى عنه في قصائده إذ يدخل في تفاصيل القصائد جميعاً باختلاف أغراضها فالوصف هو التحلية والتجميل وقد ينعكس في حالات أخرى فيكون وصفاً للتقبيح والتشويه مثل الغزل الكيدي. أي أنه قطعة مرنة يطوّعها الشاعر كيفما أراد، وهو بذلك واسطة للكشف عن شيء وإظهاره للآخرين وبيان ملامحهُ وأحواله وهو أنواع منه المادي الحسي الملموس ومنه المعنوي الوجداني المحسوس، وجميعها توظف في قصائد الشعراء وشاعرنا محل البحث قد استند إلى الوصف في أشعاره وأغراضه فهو تارة يصف الممدوح وتارة يصف شعوره بالاسى حال موت أحد المحبين المقربين إليه، فالوصف يدخل في صميم كل قصيدة ويحتاجه كل شاعر فهم يرسمون قصائدهم بالكلمات، وللوصف بصمة عميقة الأثر في شعر كل شاعر، ولعل من أجمل ما جاء في شعر ابن معتوق الموسوي قوله واصفاً الصوت الجميل والبلاغة المفرطة:

وصوتٌ شادٍ حكى في سجع منطقهِ ورقُ الحمائم تغريداً وتصويتاً
إذا تغنى غداً في جنب نغمتهِ جاورت في حلبات السيف سكينا
ما حازَ درَّ معاني لفظهُ أذني إلا يساقط من عيني بواقيتا[1]

إن لأبن معتوق عاطفة قوية وشعوراً حساساً لمن حوله ساهم في إظهار قابليته الإبداعية وقد أحسنَ في استخدام اللغة الحقيقية والمفردات الموحية التي تلقي بضلالها على الصورة الشعرية وتوسع من أفق المعنى موظفاً كل تقنيات الصورة من تشبيه استعارة كناية لتكون وسيلة من وسائل إشاعة الجمال الفني في أبعاد الصورة الشعرية.

بناء القصيدة عند ابن معتوق

البناء اللغوي:

اللغة الشعرية لها خصوصيتها وتفردها بل أنها تنفرد عند شاعر دون آخر، ومن عصر لعصر، إذ ترتبط بالتكوين الثقافي للشاعر وبذوقه وثروته اللغوية، فالألفاظ كالأرواح تختزن في داخلها معانٍ وأحاسيس مختلفة إلا أنها تكون طيعة يصوغها المبدع كيفما أراد، فتظهر فاعليتها داخل سياق لغوي [2].

وليس من شك أن الشاعر يوظف الألفاظ ذاتها التي يتداولها من حوله، ولكنه قد يضفي عليها قيماً جديدة أو ينفي عنها أخرى [3]، ومن دراسة شعر ابن معتوق نلحظ أن قصائده لم تسلّم من تأثيرات العصر آنذاك إذ انعكس حال المجتمع على شعره وهذا يثبت لنا المقولة التي ترى أن الشاعر ابن بيئته، كما أنه قلّد أسلوب الشعراء العباسيين أو أسلوب القصيدة العباسية وهي تلك القصائد المثيرة التي تقرأ على وجوهٍ عدَّة فضلاً عن نظمه لما يقرأ طولاً وعرضاً مثل قوله:

فخرُ الورى، حيدريٌّ عم نائلهُ فجر الهدى، ذو المعالي الباهرات علي [4]

إن أشعاره امتازت بالبعد عن التعقيد والإغراب والمبالغة في توظيف الأساليب البلاغية ولاسيما التشبيه والاستعارة، التي استند إليها الكثير من الشعراء في أشعارهم [5]، وهذا يدل على انه لم يكن مقلِّداً، بل كان محترفاً متمكناً. تمتع بطول نفسٍ في أغلب قصائده وتحديداً قصائد المديح إذ كانت تبلغ القصيدة الواحدة ما يُقارب خمسة وسبعون بيتاً وأحياناً يفوق

(1) المصدر نفسه، ص 274.
(2) ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: 241.
(3) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي: 351.
(4) ديوان ابن معتوق: 211.
(5) ينظر: تاريخ الأدب العربي: 397.

هذا الرقم، ولعل أهم سمّة غلبت على اسلوبه الشعري أنه مفهوم الصورة معروف اللغة واضح المعنى والمقصد، فهو يستخدم ألفاظاً يضفي لمعانيها أو يغير من قيمتها المتداولة فالشاعر له رؤيته الجمالية الخاصة التي تتجاوز العلاقات المنطقية والثابتة والمألوفة بين الأشياء ولهذا كانت اللغة عند الشاعر هي لغة الخيال وليس لغة العقل فـ ((المطلوب من الشاعر أن يعبر عن الأشياء جميعاً بلغة الخيال))[1]، إننا وفقاً لثلاث محاور سنحاول دراسة لغة ابن معتوق الشعرية:

الألفاظ:

المحور الأول الذي يدخل في صميم لغة ابن معتوق الشعرية فهي الأداة الأساس للشاعر في الإفصاح عن معانيه ومشاعره وكل أفكاره، وطرحها للقارئ، فهو يختار اللفظ ويضفي عليه من روحه ووحي أفكاره ((فالمعنى التجريدي ثابت لا يتغير على مدى الزمان ما دام الاصطلاح مقرراً لم يتغير أما المعنى الشعري فيتغير لأنه كل يوم يكتسب مُلابسة شعورية جديدة تضاف إلى رصيد هذا اللفظ، ولا نهاية لهذه الملابسات طالما أنها تحتاج مشاعر الأفراد والأجيال وما عانته من تجارب))[2].

إن الألفاظ التي وظّفها ابن معتوق في قصائده جميعاً تتسم بالسلاسة والبساطة والوضوح فضلاً عن أن لغته سهلة بسيطة خالية من التعقيد فصيحة بعيدة عن الغموض والتعتيم وكأنها رسائل أو خطابات موجهة إلى جميع مستويات منظومة الفكر الإنساني يفهمها القاصي والداني والصغير والكبير ويعمد في نظمه أسلوب المباشرة والتقريرية في الخطاب والقول الشعري، فهو يعمد إلى توظيف الألفاظ السهلة والموضوعات الواضحة الدالة. والمعنى المكثف، ومع بساطة أسلوبه وألفاظه إلا أن نظمه يتمتع بالجزالة والجودة [3]، وحسن السبك والتنظيم وجمال الصورة وقوة الخيال مما يجعلها كلاً متماسكاً، فتشيع من خطابه لغةً سهلة حلوة تعتمد على المباشرة والمشاركة مع المتلقي في الخطاب الشعري. وفي أغلب قصائده السياسية يعتمد على أسلوب الخطاب المباشر فضلاً عن توظيف الألفاظ الدالة على الحس السياسي مثل (حكم، السلطة، الأسد، القوة، المطايا، الليث، الظبي، الإسلام،.... الخ)، ففي أحد قصائده يوجه خطاباً يحمل طابع الدعوة إلى العودة لنهج الرسول العظيم 6 في قوله: ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)) فابن معتوق يدعو إلى الالتزام بمبدأ الشورى في الحكم والأخذ برأي الوالي والوالي عليه الأخذ برأي الرعية ومن اشعاره السياسية قوله:

وقمت وزند الليث مني مطوق لها ويمين الظبي قد وشحت خصري
فكادت لما بين أن تذوب سوارها ضلوعي وإن كانت حشاه من الظهر[4]

إن للشاعر صلة وثيقة ببيئته وما فيها من أحداث وقد انعكس هذا على شعره لذا جاءت قصائده صادقة معبِّرة وهادفة لأنها نابعة من معاناة حقيقية ومشاركة وجدانية، وقد كرر الشاعر صورة الألم والمعاناة من بعض أمور واقعه وحزنه الشديد على هذا الواقع دلالة هذا توظيفه للألفاظ الدالة على الحسرة والألم مثل (الأنين، الدمع، الآسى، البلية، المرارة، المصيبة، الزفرات، الجمرات، اللوعة، الفراق... الخ)، من ألألفاظ الحزن، وهذا ليس عيباً أن تتسم القصيدة بطابع حزين وبلمسة ألمٍ تشف عن صدق مشاعره وانفعال خاطره ولعل هذا ما يمكن تسميته بالأدب الصادق، وما قصيدته في رثاء سيد الشهداء أبا الأحرار الحسين 7 إلا تأكيد لما ذكرنا، جاء فيها:

الله أي مصيبةٌ نزلت به بكت السماء لها نجيعاً أحمرا
خطبُ وهي الإسلام عند وقوعهِ ليست عليه حرارها أم القرى
أو ما ترى الحرم الشريف تكاد من زفراته الجمرات أن تسعرا

(1) ينظر: الاشتراكية والفن: 45.
(2) النقد الأدبي الحديث: 41.
(3) ينظر: الشعر الحديث في العراق: 113.
(4) ديوان ابن معتوق: 313.

وأيا قيس في حشاه تصاعدت قيسات وجد حرها يصلي حرا[1]

إن ابن معتوق له ميزات في شعره تتلخص بأن لغتهُ ملائمة لكل غرض وهو في عموم مدائحه وفخره أو مراثيه يوظف لغة قوية وألفاظ سليمة جزلة تناسب الغرض قد يستمدها من المعجم القديم وفي بعض إخوانياته وأشعاره في الغزل نجده يميل إلى توظيف ألفاظ العصر الذي يحياه أي أنه يوظف ألفاظ عصره، إلا أنه في كلا الحالين ينتخب ألفاظاً تنقل احساسهُ وتترجم معانيه. وفي كل ذلك ولكي تظهر القصيدة على أتم وجه عمد إلى تزيينها بالأساليب البلاغية كالتشبيه الذي نال الجزء الأوفر منها والاستعارة فضلاً عن الأساليب الأخرى.

التقسيم الصوتي:

تَعُدْ موسيقى الشعر ((من أهم الوسائل التي استعملها الشعراء للإبانة عن فكرهم وانفعالاتهم، فألفاظهم تحكي بجرسها الصوتي... الحركة أو الانفعال الذي يفعلونه))[2]، فالصورة الشعرية يدخل في أساسيات تشكيلها الجرس الصوتي أو الإيقاع فالإيقاع ((يسهم في جعل الصورة أكثر قدرة على إحداث التخييل المناسب))[3]، إن لابن معتوق ذوق في اختيار الوزن المناسب لغرض قصائده مستخدماً مجموعة من الوسائل لإحداث التشكيلات الصوتية الناشئة عن وقع الألفاظ في النص الشعري وتناغمها وتلائمها.

إن هناك بحوراً شعرية معنية يلجأ إليها الشعراء أصحاب النفس الطويل دون غيرها من بحور الشعر، ولعل السبب إنها تمنح الشعر قابلية الابداع والجودة والتمكن من القول المبدع والتطور الملحوظ أفضل من غيرها وهذه البحور هي طويلة تامة التفعيلات، إلا أن هذا لا يمنع من أن الشاعر وظف البحور المجزوءة أو مجزوءات البحور في قصائده واعتمدها في موسيقى العديد منها، لما فيها من ميزات الليونة وقابلية أن تغنى، لكن من أكثر البحور التي استخدمها في قصائده (بحر الطويل، والبسيط، والخفيف والسريع) مثل ذلك قوله مادحاً:

وجياده في الغزو ويعطشها الثرى فتكاد في نهض المجر والرمح[4]

إن الأوزان التي استخدمها ابن معتوق ذات تفاعلية متساوية متجاوبة مع وجود بعض العلل والزحافات تأمل قوله:

وتُضو السيوف فقلت غرّ ملائكَ هدت بربها أيبُ الاغرال[5]

فهنا القياس ترك الضاد مفتوحة إلا أن الشاعر ضمها لإقامة الوزن، وهذا كثيراً ما تتكرر في شعره[6]، ومن خلال مسح سريع للديوان نجد أن الشاعر مثلما أكثر من توظيف بحور معينة نظم عليها شعره إلا أنه نادراً ما استخدم بحور أخرى مثل بحر الهزج الذي يُعد أقل الأوزان الشعرية استخداماً من قبل ابن معتوق لأنه بحر راقص مغنى لا يتناسب مع أغراضه الشعرية.

القافية:

لا يمكن لنا فصل القافية عن الوزن الشعري لأن ذلك يُعد ((خروجاً على طبيعة الفن الشعري وهدماً لمضمونه))[7]، وابن معتوق كان شديد الحرص على العناية بقوافيه وانتخابها بطريقة تجعلها سلسة سهلة تستسيغها الأذن العربية وبما يتلائم مع طبيعة الغرض المنظوم لأجله القصيدة ومن دراسة احصائية للديوان توصلنا إلى الآتي:

(1) المصدر نفسه، ص 313.
(2) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 174.
(3) الشعر الجاهلي: 69.
(4) ديوان ابن معتوق: 104.
(5) ديوان ابن معتوق: 135.
(6) ديوان ابن معتوق: 137.
(7) عفوية الموسيقى في النص الشعري: 80.

القافية	عدد القصائد	القافية	عدد القصائد
المراء	5	العين	12
الالف	9	الجيم	13
الالام	6	الهمزة	15
الميم	2		
الدال	11		
الباء	8		
الياء	3		
القاف	4		

تدل هذه الاحصائية على أن الشاعر كان متنوعاً في اختياره لقوافيه ولم يعتمد على قوافٍ محددة دون غيرها وهذا ينم عن ذوق موسيقي وأذن مستمعة، تأمل أجمل ما قاله:

الله نفس اسى يصعدها الآسى ويرددها في العينِ كف فدائهِ[1]

إن موسيقى الشعر تخلق ذلك التنغيم الجميل والموسيقى الرائعة التي تشكل وسيلة جذب فنية للسامع فضلاً عن دقة اختيار المفردات التي تلقي بظلالها على الصورة الشعرية التي يكملها الإيقاع الموسيقي للقصيدة.

إن القافية تمثل عنصراً مهماً من عناصر القصيدة ومكوناتها، وتشكل المحور الأخير لإيقاع القصيدة الخارجي، وهي تمثل صوت معين متكرر يتردد في نهاية الأبيات والأشطر، إذ أنها تقوم على أساس التكرار، للتناسق والتآلف وتعمل على اثراء الإيقاع وتماسكه، والقافية ركن أساس من أركان فن العروض العربي [2]. بل أن ((القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية))[3]، والقافية تضفي بُعداً من التناسق والاتساق والتماثل على القصيدة بفضل ذلك التناغم الموسيقي المتكرر وشاعرنا لم يبخل بطاقاته ومقدرته في انتخاب القافية الأمثل والأنسب في كل قصيدة ينظمها لاحظ قوله:

لقد فتكت بنا الأجفان حتى شكت ضعفاً لذلك وإنكسارا
ألامُ بها نلامُ ولا نبالي فتوسعنا جراحاً واعتذارا[4]

مضمون القصائد:

هناك كثير من العوامل التي تدخل في تشكيل الصورة الشعرية ويكون لكل واحدٍ منها وزنه وثقله وارتباطه بغيره إذ لا يمكن الغنى عن واحدٍ منها دون الآخرين ولعل أولها:

العاطفة:

أي الانفعال والتفاعل حول موقف معينٍ من مواقف الحياة وبما أن رؤية الشاعر الفنان تختلف عن رؤية الإنسان العادي لذا فهو يترجم انفعاله ازاء موقف ما عن طريق القصيدة التي تكون بمثابة المنقذ والمخلص والمخرج الذي تسكنُ فيه العبرات وتبرأ الجراحات وهذه العملية بمجملها تقع تحت تسمية العاطفة، فكلما كانت المعاناة أو الحزن حقيقي كلما كانت العاطفة أصدق وأنقى وأثبت، فالانفعال هو الاحساس الذي لا يفصح عن ذاته إلا بمعية القصيدة بالنسبة للشاعر، وهو ((لا للتوق للعودة إلى الماضي أو إلى أمر لا وجود له))[5]، فالشاعر يعيش الحدث ويراه ولكنه يصوغه بحسب رؤيته وروايته

(1) ديوان ابن معتوق: 63
(2)ينظر: حركة التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث: 11.
(3) العمدة: ج1/ 151.
(4) ديوان ابن معتوق: 174.
(5)ينظر: الصورة الشعرية: 74.

ودرايته وخبرته ويضفي عليه من روحه ووحي خياله وعاطفته فهو بخبرته يكشف عن ما يكمن وراء الحدث [1]، وبما يتناسب ونمط القصيدة والجو النفسي أو الذهني له، فيعبِّر عن خلجات النفس وما يعتمد القلب مزاوجاً بينه وبين خياله الخلاق وعاطفته المتأججة، ولطالما غيرت المشاعر الصادقة احوالاً وأفعالاً، مثلما حدثت مع شاعرنا حينما نظم قصيدة عتابية موجهة إلى ولده يعاتبه بعد أن عزمَ الرحيل إلى بلاد العجم فوصلت إليه الأبيات الآتية فأقلع عن سفره ورجع، جاء في تلك القصيدة قوله:

جَعلتُكَ بالسوايدا من فؤادي ومن حرفي، فديتك، بالسوادِ
هويتك واصطفيتك دون رهطي واولادي فكنتَ من الأعادي
وإن كسرتْ يدٌ الحدثانِ عظمي ترى منه بمنزلةِ الضمادِ
ولستُ أخالُ فيكَ يخيب ظني ويحظي سهمُ حدسي واجتهادي[2]

إن الأبيات السابقة تحمل عاطفة صادقة وتصوير حي واقعي نابع من صدق العلاقة وحميميتها ما بين الأب والأبن كل بيت يحمل الصدق الشعوري وصدق الصورة والتعبير لأنها تجسيد لعلاقة إنسانية صادقة تعبر عن احداث حياة اليوم فكثيراً ما نسمع ونرى بعقوق ابن لوالديه أو لأحدهما، ونسيان ابن لحق أبيه عليه، فقد تناسى ابناء آدم قوله ﷻ (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) والشاعر حاول تقديم حل لهذا الموضوع وهذه المشكلة الاجتماعية المزمنة انطلاقاً من مأساته هو مع ابنه ومعاناته، وأظنه قد أفلح بحلّهِ بدليل عودة أبنه إليه وذلك التأثير يكمن في قوة الكلمة واختيار الكلمات ذات الدلالة القوية والأثر العميق في النفس الإنسانية واختار قافية الياء لتناسب موضوع القصيدة فهو يدل على الانكسار والتواضع والقهر القسري.

الخيال والفكرة:

أما الخيال ذاك النسيج الذي يربط الأفكار والعاطفة ويترجم المعاني الداخلة في قوالب اللفظ، فيجعل الصورة الشعرية مفعمة بالحركة والحيوية فهو يجمع بين متضادات الأشياء التي لا يمكن الجمع بينها في الواقع ويجعل البعيد قريباً والقريب بعيداً والمحال ممكناً أو العكس، فالخيال يحمل كل التناقضات والإمكانيات والتخيل هو إحساسنا الأول في الأشياء والذي يختلف فيه الفنان عن كل البشر إذ أنه انفعال إزاء موقفٍ معين تصطاده العين وتترقبه الحواس ويترجمه العقل على شكل مفردات أو صور أو لوحات فنية يصب عليها الفنان خليطه السحري في شكل فني راقٍ منظم، فالشاعر يمتلك من الخيال ما لا يملكه غيرهُ، ولديه قوة تعبيرية تختلف عن غيره هي مفتاحهُ الذهبي وسرَّه في النجاح، وبوساطته تعبر عن رؤياه الخاصة ووجهة نظره ويقدمها للمتلقي أو السامع وهو بذلك يشارك الآخر ألماً خاصاً يتحول إلى عام أو عاماً يتحول إلى خاص، إذ أن احساسه مرتبط بالآخرين ملتحم ومؤثر، فالخيال يساعد الفنان أو الشاعر على نقل الهم والحزن أو حتى الفرح وكل التجارب والانفعالات إلى الآخر، إذ أن الصورة أو العمل الفني لم يعد الخيال جزءاً في تشكيله [3]. بل صارت الصورة الشعرية قطعة نسج ثمينة قوامها الكلمات والخيال واللغة والمعنى والموسيقى وغيرها من عوامل بناء الصورة وتشكيلها فنياً لتسهم في إثراءها لغوياً ولا ننسى أهمية الإيحاءات في البناء الشعري التي تتألف لخلق وشيجة الصلة بين لوحات القصيدة وصورها وإن النظرة إلى الصورة الشعرية مجتمعة تساعد على كشف معنى اعمق من المعنى الظاهري في النص الشعري [4]، وابن معتوق أضفى إلى صوره الشعرية وبخصوبة خياله ألواناً من الفن الراقي وقوة السبك وبعض المبالغة في إضفاء صفات معينة على الممدوحين خاصة وإن أغلب أشعاره جاءت في المديح، وهذا ما تستجوبه وتفرضه

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 76.
(2) ديوان ابن معتوق: 324- 325.
(3) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 37
(4) ينظر: فن الشعر: 227

طبيعة الشعر على الشاعر ولعل من أجمل مدائحه المفعمة بالخيال المرتدي الحقيقة قصيدته المدحية في حضرة الإمام علي عليه السلام إذ بدأها بالنسيب وأضفى على المقدمة جمالاً وخيالاً رائعين وقد جاءت في سبعة وستين بيتاً، فمنها قوله:

عزين منكم شموس التلافي قيدت بعدها نجوم المأتي
جن ليل النوى علي فأمست في جفوني منيرة الإشراقِ
أخبرتنا حلاوة القرب منكم إن هذا البعاد مرَّ المذاقِ
ولا طول الفراق نور التجلي منكم للوداعِ يوم الفراقِ[1]

الكلمات جميلة قريبة من قلب السامع سلسلة معبرة عن قصة صاحبها مفعمة بالتشبيه والتوظيفات البلاغية محبوكة بالرمزية إلى توحي وتومئ لشخص الإمام علي عليه السلام ولا يفوتنا ذكر في هذا المقام أن الجاحظ أول من تكلم وأطال الوقوف عند الإشارة، أو الإيعاز عند العرب إذ يرى أن الدلالة على المعاني ليست بالألفاظ وحدها بل بالكناية والإشارة والتشبيه [2]، إن الرمز يساند الخيال بأن تكون دلالة الألفاظ موحية بالدلالات أبعد وأعمق.

أما الأفكار التي تطرّق اليها ابن معتوق في شعره وأغراض قصائده، فأنَّ الجانب الأكبر من قصائده كانت أفكاره منصبة على الفروسية والفخر والشجاعة وحب الحرية والعطاء مما جعل منه شاعراً ملتزماً بمسألة الفروسية والنضال والانتماء فـ ((لا يكون هناك شعر إلا بالتجربة النضالية التي ولدته))[3]. يصبح الشعر والنضال وجهين لحقيقة واحدة، لقد حثَّ في شعره على قضية المطالبة بالحقوق والتقدم والازدهار وضرورة النهضة بالواقع الحالي وتأكيد القيم الأخلاقية عن طريق الكفاح والاصرار على رفض أمر واقع لا يلائم حياة البشر ولا يحقق طموحاتهم والصبر والتقدم والثبات على الإيمان بالله، من هذه الأفكار صاغ ابن معتوق صوره ولوحاته معتمداً الموهبة والخيال وصدق العاطفة ومستغلاً ثراءه الفكري واللغوي وقوة إرادته التي لا تعرف التردد، مثل قوله:

هو الماجد الوهاب ما في يمنيه هو العابد الأواب والشفعُ والوترُ
هو الحرُ يوم الحرب تثنى حرابهُ عليه وفي المحراب يعرفهُ الذكرُ
فلا تحسبَّن الدهر اهلك شخصهُ ولكنهُ في موتهِ هلكَ الدهرُ [4]

الأبيات أشبه بمناجاة العبد للمعبود وقد اختار قافية تناسب الغرض من القصيدة وتتسم بالتسامي والسمو والعلو وهي قطعة غزلٍ عفيف جميل يدخل القلب بدون استئذان وهي لم تكن وليدة اللحظة بل هي نتاج تراكمي للمعارف والخبرات التي يمر بها الشاعر ثم يترجمها على شكل قصيدة.

وشاعرنا ابن معتوق كثيراً ما ذكر العرب في أشعاره على خلاف بقية الشعراء ولعل هذا ميزّة تميزهُ عنهم، فقد ذكر العرب من خلال حديثه عن الأوابد العربية والقبائل العربية والاطلال ووصف النساء العربيات من خلال مقدمات الغزل والنسيب والمديح.

إن شعر ابن معتوق امتاز بالرمزية والخيال والأفكار الخصبة وتداخل الاستعارات وبسط الأفكار مما يسمى بتراسل الحواس لا عن طريق العقل والمنطق بل عن طريق الخيال.

وهكذا نلمس جمال الصورة الشعرية في نظم ابن معتوق فضلاً عن قوة العاطفة وصدقها ورقة خيالها، والوصف الجميل الذي يضفي النكهة لأبيات قصائده.

(1) ديوان ابن معتوق: 16- 19.
(2) ينظر: البيان والتبيين: ج1/ 76، وأيضاً: الرمزية في الأدب العربي: 40.
(3) أدبنا الحديث بين الرؤيا والتعبير: 34
(4) ديوان ابن معتوق: 317.

الخاتمة:

شاعرنا في محل البحث كغيره من الشعراء يتحلى بالخيال الخصب والقدرة على جمع المتضادات تحت سقف القصيدة.

لقد امتازت قصائده بقوة السبك وجمال القافية وانتخاب الأوزان الملائمة للغرض الذي نظمت من أجله وقد وفق ابن معتوق في رسم العديد من الصور الشعرية من الصور الشعرية الموحية والمؤثرة ونظم في كل ألوان الشعر العربي فنراه متنقلاً بين المديح والغزل والهجاء والرثاء والفخر والتهنئة والإخوانيات، إلا أنه أطال الإقامة عند غرض المديح ومدح أشخاص بعينهم دون آخرين، ولعل ذلك نابع من قربهِ منهم أو من إيمانه بشخوصهم وبأنهم يمثلون الحق والعدالة والوجه المشرق للحياة بنظرهِ.

وقد كانت لغته سهلة سلسة وقلمه فيّاض بالأفكار والصور ولم يلجأ إلى الألفاظ النابية أو الألفاظ المخدشة الفاحشة، فشعرهُ تُرفع له القبعة احتراماً وتقديراً لنفسهِ الطويل في القصيدة الذي يضاهي طول نفس الشعراء الجاهليين، وقصيدته أشبه بالنمط الجاهلي.

على مسافة الوقت الماضي مهما قصر أو طال جعلنا ابن معتوق نتنقل في بستان إشعاره وتمتعنا بكل أنواع الزهور فيهِ.

المصادر والمراجع:

1- أدبنا الحديث بين الرؤيا والتعبير، ريتا عوض، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.
2- الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عزالدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، بغداد، 1986.
3- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م.
4- الاشتراكية والفن، ارنست فيتشر، ترجمة أسعد عبد الحليم، دار القلم، بيروت، لبنان، 1973.
5- أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ج7.
6- آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، د. ياسين الأيوبي.
7- البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1968.
8- تاريخ الأدب العربي، د. عمر موسى باشا، دار المعارف، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، 1989.
9- تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دت.
10- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، د. شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1969.
11- حركة التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث، س. موريه، عالم الكتب للطباعة والنشر، 1969م
12- دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أميّة، د. عبده بدوي، ذات السلاسل، الكويت، 1987.
13- ديوان ابن معتوق الموسوي، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر 1320هـ.
14- ديوان كعب بن زهير، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، 1417هـ-1997م.
15- الرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1958م.
16- الشعر الجاهلي، د. محمد النويهي، دار القومية للطباعة، القاهرة، د. ت.
17- شعر الرثاء العربي، أ. د. السيد عبد الحليم محمد حسين.
18- شعر محمد حسين آل ياسين، 1948.
19- الصورة الشعرية، سي، دي لويس، ترجمة، د. أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
20- الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، حسن مركيس، دار الطباعة، بيروت، 1981.

21- عفوية الموسيقى في النص الشعري.
22- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط4، بيروت، 1972.
23- فن الشعر، ارسطو، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1973.
24- فنون التصوير البياني، د. توفيق الفيل، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1987م.
25- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، 1979.
26- المرثاة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان، بغداد، مطبعة الزهراء، 1974.
27- مشكلة الإنسان، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، د. ت.
28- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، تأليف: مجدي وهبه، وكمال المهندس، مكتبة لبنان، د. ت.
29- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، 1973.